أما الحجج السلبية فكانت ترتكز على فقدان الاسرائيليين لاعصابهم بعد تشرين الاول (اكتوبر) الماضي ، فقد ارتعد الاسرائيليون مما حدث آنئذ الى حد انهم، ولاشهر بعد ذلك، تركوا الفلسطينيين وشأنهم الى أقصى حد ممكن . فقد أوقفوا عمليا تنميرهم واستئسادهم ووخز الابر والمضايقات . ولما عاد الوجود الاسرائيلي ، ببطء ، ليؤكد نفسه من جديد ، كان من نوع مختلف ، فقد خفت الغطرسة والسلوك السيء . والروح التوكيدية الجديدة للفلسطينيين ، التي كانت ستجلب التوبيخ وحتى العقاب في الماضي ، صار يصغى اليها الان بتهذيب على الاقل . وكما قال لي احد ابناء الضفة الغربيـــة : « عندما تكون لدي أية معاملات مع المسؤولين الاسرائيليين الان ، انفخ دخان سيجارتي في وجوههم » — وهي ايماءة تافهة ، وربما كانت مراهقة بعض الشيء ، ولكنها ذات دلالة بالغة رغم ذلك . ذلك انه عندما يفقد المحتل الاجنبي **ارادته** في الحكم ، المرتكزة على ايمانه في قدره الامبريالي ، فان نظام الاحتلال ذاك ينهار .

واستنادا الى ما سمعته من مصادر معلوماتي الاسرائيلية الخاصة ، يمكنني القول بوثوق ان هناك ، يقينا ، بين طبقات الانتليجنسيا والمثقفين الاسرائيليين شكا عميقا على الاقل في قدر اسرائيل الصهيوني ، أي الامبريالي ، ومع ان مكوثي في القدس كان قصيرا ، للاسف ، فانني لم أتطلب وقتا أطول لاكتشف ان الاسرائيليين والمجتمـــع الاسرائيلي قد سببت لهما حرب تشرين (اكتوبر) هزة أعمق بكثير مما حملتنا على الاعتقاد كل التقارير الخارجة من اسرائيل . والاسئلة التي تطرح وتناقش باسهاب في الصحف والراديو والتلفزيون هي التالية : ما هي غاية اسرائيل ؟ ما هو موضع دولة صهيونية في الشرق الاوسط ؟ هل يجب ان تكون اسرائيل في الشرق الاوسط على الاطلاق ؟ هل الصهيونية حركة قومية أم وكالة ســفريات ؟ (أنا ، شخصيا ، سررت بنوع خاص لهذا السؤال الاخير اذ كنت قد الفت كتابا حاولت فيه ان اثبت أن الصهيونية هي مجرد وكالة سفريات وليست حركة قومية) . وابديت ملاحظة حول عمق الشك الذاتي لمصادر معلوماتي الاسرائيلية فأجابوا جميعا بأنني ، كغريب ، لا يسعني ان افهم الى أي حد عميق هزت حرب تشرين (اكتوبر) اسرائيل وما زالت تهزها ، وقال لي احدهم : « كانت زلزالا ، والارض عينها مادت تحت أقدامهم ومـــا زالت تتحرك ». وحين سألت عن سبب ردة الفعل ، المفرطة في نظري ، أعطيت ثلاثة أسباب . اولا ، الصورة الفجائية والمفاجئة للهجوم العربي ، نظرا لعدم وجود أي تزايد في التوتر قبله . ثانيا ، وهو الامر الاهم ، كان الفرق بين حالة الحرب والمزاج السائد في اسرائيل قبلها . فذاك المزاج كـــان اقتناعا راسخا بأن اسرائيل قد حققت أخيرا هدفها النهائي — السلام لجيل آخر على الاقل ضمن حدود مثالية . ثم جاءت الحرب التي تبين انها اول حرب حقيقية خاضتها اسرائيل ابدا ، فهي المرة الاولى التي اضطر فيها الجنود الاسرائيليون الى خوض قتال ضار قتلوا فيه وتشوهوا بأعداد كبـــيرة . واكتشفوا انهم في حين ابتهجوا وتفاخروا بالنزهتين العسكريتين لعام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ ، فانهم لم يحبوا اطلاقا الحرب الحقيقية ، والقتال الحقيقي. من يحبهما ؟ ولذا عاد الجنود الاحتياطيون المثقفون الشبان حاملين معهم أسئلة : اذا كنا سنجبر على خوض حرب من **هذا** النوع ، حرب قاتلة حقا ، مرة كل خمسة أعوام او ستة ، وستكون دموية أكثر على الارجح في المرة التالية ، فأي نوع من الدول هي تلك الدولة التي زجتنا في حالة كهذه ؟ لماذا يكون لي أي دور في هذه الحالة الرهيبة ؟ ومن هنا الزيادة الصغيرة ولكن البالغة الدلالة في الهجرة من اسرائيل . ومن هنا ، ايضا ، ادراك أقسام كبيرة من القيادة الاسرائيلية ، ومن الانتليجنسيا ورسال وسائل الاعلام بأن حلا وسطا مع العرب ، وخصوصا مع الفلسطينيين ، هو الطريق الوحيدة الى السلام . وأضيف بسرعة هنا ان الحل الوسط يتصور استمرار اسرائيل كدولة يهودية منفصلة ، أقل اقتصارا على اليهود ، ولكن ليس بالضرورة كدولة صهيونية. واني أشك في ما اذا كان هناك ، حاليا ، أكثر من ٢٠٠ اسرائيلي يقبلون بفـــكرة دولة علمانية ، ديموقراطية ، وقد قرئت مقالـــة نايف حواتمة على نطاق واسع وبصورة جدية ولكنها لم تكسب انصارا كثيرين ، هذا اذا كسبت أي نصير . ولكن حينما سألت الاسرائيليين اذا كان هذا الموقف الجديد يعني انه يمكن الان التوصل بسهولة وسرعة الى تسوية كان الجـــواب ، المستغرب ، « كلا » . وشرحوا قائلين ان السبب هو انه ، في حين حدث اهتزاز كبير للافكار المكونة